(١٨) التأخر العلمي للأمة

إحصائيات موثقة عن واقع الأمة العلمي

د. راغب:

تحدثنا سابقًا عن صفات العالِم الرباني وذكرنا أن العالِم الذي نقصده ليس عالِم الشريعة فقط بل العالِم في علوم الحياة من الطب والهندسة والكيمياء وغير ذلك من أنواع العلوم النافعة التي من الممكن أن تقدم شيئًا للمسلمين وللعالمين.

وذكرنا أن العالَم الإسلامي يعاني من نقص في الفَهم عند الكثير من الملتزمين وخاصة الطلبة والدارسين في الكليات العلمية، من طب وهندسة وغيرها من الكليات، فقد ينظر إلى مذاكرته على أنها نوع من تضييع الوقت إذا ما قارناها بدراسة العلوم الشرعية، ومن ثم يهتم بحلقات القرآن الكريم، وهي في غاية الأهمية بالتأكيد، في أثناء فترة دراسته ولا يهتم بنفس الدرجة بالتخصص الذي وضعه ربنا عزَّ وجلَّ فيه، واعتبرنا أن هذا النقص في الفهم يؤثر بشكل كبير على حركة الأمة الإسلامية وحركة الدعوة بشكل عام.

وسنتكلم على هذا الرجل الذي يُضيِّع الأمة من هذا الباب، ألا يعتقد أن وضع الأمة الإسلامية كرؤية في عيون الآخرين أو حتى في عيون المسلمين غير الملتزمين، ألا يتأثر هذا الوضع؟ ألا يكون فتنة للآخرين عندما يرون الأمة الإسلامية في وضع متأخر ومتخلف علميًا في علوم كثيرة جدًا مختلفة؟ هل هي فتنة أم ماذا؟

د. صلاح:

بل هي فتنة {وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ}.

من الضروري أن يستشعر كل إنسان، بما يسمى في الشريعة الإسلامية، فرض الكفاية، بمجرد أن الله سبحانه وتعالى اختاره ثم اختار هو أن يكون في تخصص الطب أو الهندسة أو الفلك أو غيرهم، فصار فرض كفاية على الأمة أن تُوجِد متخصصين أكفاء نُبغاء في كل علم نافع.

د. راغب:

ما الفرق بين فرض العين وفرض الكفاية؟

د. صلاح:

مثلا، صلاة الفريضة فرض عين وصلاة الجنازة فرض كفاية، فلو أحدهم توفي ولم يصلي أحد عليه فكل من علم بوفاته ولم يصلي عليه فهو آثم لكن أن صلى أحدهم عليه كفى الإثم عن الآخرين.

والصلاة تختلف عن حَمل الجثة، لا يستطيع احدهم بمفرده أن يحمل الجثة بل سيحتاج لآخرون ليحملوها معه، ففرض العين من الممكن أن يقوم به واحد ولا يستطيع احد أن يقوم به فيظل فرض كفاية حتى تكتفي الحالة التي نتكلم عنها، فلو مثلًا أصيب أحدهم في حادث ما ويحتاج إلى ٣ ليتر دم، فتبرع له أحدهم بلتر ونصف دم وآخر تبرع بنصف ليتر ،فيبقى إثم على من عَلِمَ إلى أن يتم التبرع بالـ ٣ لتر.

فالكفاية هنا تعني أن الأمة وصلت في هذا التخصص إلى الحد الأدنى في فرض الكفاية الذي وصلت إليه الأمم السابقة والأصل أن يزيدوا عن هذا الحد ويصلوا إلى قمة التفوق في هذا التخصص.

د. راغب:

علوم الشريعة أتعتبرها فرض عين أم فرض الكفاية؟

د. صلاح:

علوم الشريعة مما لا يسع المسلم جهله، صلاته وصيامه وزكاته وحجه وزواجه وبيعه وشرائه وغيرها، كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه، كما أورد الإمام الكتاني في كتابه (التراتيب الإدارية)، يدخل السوق ويسأل التجار عن أحكام البيع والربا، لأنه فرض عين عليه أن يعرف الفرق بين البيع والربا، فإن لم يعرف التاجر أقاله من السوق وكأنه سحب منه الرخصة الإدارية في العمل، وكذلك من يتزوج يجب أن يعرف أحكام الزواج في الإسلام والواجبات الشرعية بالنسبة له.

الفرض العام أن يعرف المسلم أحكام الصلاة والصيام والحج، إنما أن كل يعرف كل هذه التفاصيل ولكنه يترك تخصصه الأصلي، فهذه هي البلوى التي نعيشها الآن.

فيكون هناك متخصصون في العلوم الشرعية يدققون في كل صغيرة وكبيرة ويكونون هم أهل الذكر والاجتهاد في هذا التخصص، لكن أين هم أهل الذكر والاجتهاد في تخصصات الطب والعلوم الصيدلانية والكيميائية وما إلى ذلك؟

فهذا فرض كفاية ويجب على الأمة الإسلامية أن يوجد فيها علماء ونبغاء في كل التخصصات النافعة وأن يقودوا حركة الحضارة، والإمام ابن القيم له بحوث رائعة في هذا وكذلك ابن تيمية في (السياسة الشرعية) وآخرون غيرهم، فهذه القضية مطروحة بقوة في الفقه الإسلامي.

وعلى سياق قول الله تعالى: {قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أن أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ} [الأنعام: ١٤]، فكيف يكون المسلم في الصف الأول وقت الصلاة ولا يكون الأول في أي تخصص من تخصصات علوم الحياة؟

بل إنني، كما ذكرت سابقا، اسميها من علوم الدين والعلوم الإسلامية وليس من علوم الدنيا.

د. راغب:

في كتب السلف القديمة يتم تقسيم العلوم إلى علوم دنيوية وعلوم دينية أي علوم الشريعة والعلوم الدينية وغير ذلك، لكني أقول انها علوم الحياة.

فعلوم الدين هي علوم الشريعة والعقيدة والفقه والحديث والرقائق وما إلى ذلك، لكن علوم الحياة هي التي تصلح بها الحياة ونستعمر بها الحياة كما أمر ربنا سبحانه وتعالى مثل الطب والهندسة والفلك وغير ذلك.

فالدنيا في الأحاديث والآيات القرآنية مذمونة، حتى قال عنها الرسول صلى الله عليه وسلم : «ألا أن الدنيا ملعونةٌ ملعونٌ ما فيها، إلا ذكرُ اللهِ وما والاهُ، وعالمٌ، أو متعلمٌ»

الراوي: أبو هريرة -المحدث: الترمذي

المصدر: سنن الترمذي - الصفحة أو الرقم: ٢٣٢٢

خلاصة حكم المحدث: حسن غريب

وهذا يعني أن العلم يعفي الإنسان من لعنة الدنيا التي أُطلِقَت على الدنيا بشكل عام إلا باستثناءات معينة محددة، والدنيا دائما يُزَهِدُنا فيها الحبيب صلى الله عليه وسلم.

لكن في المقابل الحياة تأتي بذكر طيب، قال الله تعالى: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً} [النحل:٩٧]. فيذكر الحياة على أنها طيبة، وبالتالي لفظ "علوم الحياة" أعتقد أنه أنسب للحديث ويعطي للحياة نوع من الإجلال والتقدير.

د. صلاح:

لكني لا أجد حرجًا من أن نُسمي العلوم الحياتية بعلوم الدين، وأن العلوم الشريعة يدخل تحتها علوم القرآن والفقه وأصوله وغيرها.

وهنا أقصد أن المسلم أن قام بها وهو متجرد النية لله سبحانه وتعالى تدخل ضمن التزامه الإسلامي، ولهذا فهي من العلوم الإسلامية.

د. راغب:

وهنا نطلب من حضرتكم أن تُخرِج لنا كتاب عن ما لا يسع المسلم جهله، لتحل المشكلة الانشغال بالجانب الشرعي وترك الجانب العلمي التي يواجها العلماء أو طلبة العلم في الكليات العلمية الخاصة بعلوم الكيمياء والهندسة وغيرها.

فإن قرأ هذا الكتاب يصبح لديه عِلم فيما يجب أن يعلمه من أمور الفقه والتعامل في البيع والشراء وغيرها، وستظل هناك بعض الأمور التي يجب أن يعرفها عالم الطب مثلًا في قضايا شرعية في الطب لا بد أن يعرفها بحكم تخصصه ولا يشترط للمهندس أو للتاجر أن يعرفها، لكن ستجمع في هذا الكتاب من العقيدة والحديث والفقه وغيرها من الأمور التي ينبغي على المسلم بشكل عام أن يعرفها، وإن كان توجد كتب مثل هذا الكتاب لكنها مازالت تتكلم بشكل عام ولا تحدد أمورًا معينة، فإن أنجزتم هذا الكتاب ستكفينا جزءًا كبيرًا فيكتفي به الطالب ومن ثم يتفرغ للإبداع في تخصصه.

أرى أنها فتنة كبيرة عندما يرى من في الغرب والشرق المسلمين على هذا الوضع المؤلم، وأذكر ذات مرة كنت في اليابان وتحدث معي أحد المسلمين هناك وذكر لي أنه دعى أحد اليابانيين إلى الإسلام وجعله يقرأ قليلًا عن الإسلام ثم قال له أنه يجد بعض التعاليم الجيدة لكن قال: (لماذا أرتبط بهذا الدين وأنا أجد نفسي في وضع مريح وأمتي في وضع متقدم في حين أجد أمتك في وضع متخلف، فأمتك تحتاج أمتنا كثيرًا، أتريد مني أن ألتحق بهذا الدين الذي وصل بكم إلى هذه الحالة من التخلف؟ وبالرغم من لدينا الكثير من الديانات والملاحدة لكننا نخترع في أمور العلم الكثيرة).

ربما نقول أن هذا فهم قاصر ومحدود ولم يطلع على الأمور ولا يعلم عن خالق السموات والأرض، لكن هذا الوضع أصبح فتنة له، وكما في قول الله تعالى: {رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا} [الممتحنة:٥]، فأصبحنا الآن فتنة للذين كفروا بسبب هذه الحالة التي عليها الأمة الإسلامية الآن.

د. صلاح :

كان الشيخ الغزالي رحمه الله يقول فيما معناه، لو نشأت في بلاد الغرب ما فكرتُ في الإسلام، فكيف أدخل الإسلام وأنا في دولة متقدمة صاحبة براءات واختراع في حين أن الأمة الإسلامية مستهلِكة مُتَخلِفة رجعية!

هذه فتنة بالفعل، ولذلك أنا أحب من أخواني أن ينهضوا، وعلى سبيل البشرى أذكر أنه كان هناك مسابقة أجريت في أمريكا على مستوى العالم للباحثين من الشباب تحت الـ ٣٥ عامًا وتقدم ٧٠٠ باحث وفاز فيها أحد المسلمين، ولا أنسى أيضا أن هناك لوحة إلكترونية في ديترويت ميتشغان كُتِبَت عن إحدى بناتنا هناك تسمى فداء ووالدها من العراق بأنها أذكى فتاة دخلت إلى المدرسة منذ ٣٠ عامًا.

د. راغب:

طبعًا الأمة الإسلامية ليس لديها نقص يمنعها من الوصول لكن أساس المشكلة هو عدم وضوح الهدف.

سأقول للأخوة بعض الأرقام التي قد تثير القلق لديهم، وواجب على الطلبة والعلماء الذين وضعهم ربنا عزَّ وجلَّ في الكليات العلمية أن يغيروا هذه الأرقام التي سأتناولها:

- في سنة ٢٠٠٤ قدمت مصر براءة اختراع واحد، وحدث تطور في سنة ٢٠٠٥ وقدمت حوالي ٣٤ اختراع، وفي سنة ٢٠٠٦ وصلنا إلى ١٠٤ اختراع، والحمد لله كان في نوع من التقدم.

و في سنة ٢٠٠٦ كانت مصر هي الدولة الثانية إسلاميًا بعد تركيا، في حين كانت دولة الكيان الصهيوني قدمت في ذلك العام ١٢٢٢ اختراع، وهي أكثر بكثير من مجموع الاختراعات المقدمة من كل دول العالم الإسلامي من اندونيسيا إلى المغرب، محتلًا بذلك المرتبة ١٥ على العالم .

وفي هذه السنة قدمت أمريكا أكثر من ٤١٠٠٠ اختراع في هذه السنة، وبذلك كانت هي الدولة الأولى في العالم، وجاءت اليابان الدولة الثانية بـ ١٩٠٠٠ اختراع.

والاختراع ليس من الضروري أن يكون جهاز جديد ١٠٠% ولكن حدث تطوير في شيئًا ما، كما لو أنه مثلًا هناك دواء له مضاعفات جانبية وقَدمت اختراعًا يقلل من هذه المضاعفات فهنا فأصبح هذا اختراعا، ولو كان لدي تلفاز فقدمت جزءًا الكترونيًا فحسن الصورة أو لو اختراع في الموبايل في صاروخ الفضاء أو السلاح أصبح اختراعًا يسجل باسمي وهناك هيئات عالمية تسجل ذلك، ويصبح مجموع ما أتى من هذه الدولة يحدد مكانتها العلمية على العالم.

و هذه الأرقام تعطينا تفسيرًا واضح لسُنة ماضية، ليست هناك محاباة من رب العالمين لدولة على حساب دولة إنما هو بالعمل: {مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ . أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [هود:١٥-١٦]

لكن القضية الكبرى أن يرى المسلم أن هذه الاختراعات شيء تضييع للوقت وأنه لا بد أن ينشغل بأمور أخرى ويترك هذه الأشياء للنصارى واليهود والشيوعيون والبوذيين والهندوسيين وغيرهم ممن يتقدمون كل يوم باختراع جديد.

ومع أنا أمريكا هي الدولة رقم واحد على العالم ولا يستطيع أحد أن ينكر ذلك، فلديها القوة والسيطرة والاقتصاد وقيادة العالم ويتبعها أهل الشرق والغرب، وهذا لا يأتي من فراغ لا بد أنها قدمت شيء ونتيجة ما قدمته نالت هذه المرتبة.

والكيان الصهيوني مزروع في داخل أرض فلسطين وهي في عمق العالم الإسلامي ففلسطين متوسطة بين اندونيسيا والمغرب، أي في عقر دارنا، وحولها عدد هائل من المسلمين، لكن لماذا زرع هذا الكيان في هذا المكان ورغمًا عن أنوف

ملايين المسلمين؟ وأقول أن هناك أسباب لهذا ومن هذه الأسباب أنهم يهتمون الاهتمام الكافي والمتفوق بقضية العلم فسبقوا بها وحققوا إنجازات ضخمة .

عندما قلنا أن اليهود عددهم ١٢ مليون على مستوى العالم، وفي أرض فلسطين أو ما يسمى بإسرائيل يوجد ٥ مليون تقريبا وكانت هي الدولة التي تقدم ١٢٢٢ اختراع والرغم من أن عدد سكانها قليل إلا أن هذا يعد إنجاز بالنسبة لدولة عدد سكانها كثير، فلكي لا تُظلم قرر القائمون على هذا الأمر تقسم عدد الاختراعات على عدد السكان في تلك الدولة لنرى كم ساكن في الدول ينجز اختراعًا فوجدوا أنه بين كل ٥ آلاف صهيوني في إسرائيل يوجد اختراع

و بين كل ٦٧٠٠ أمريكي يوجد اختراع وبالتالي أصبحت الدولة الصهيونية تسبق أمريكا بمعدل الاختراع بالقياس لعدد السكان، وبالتالي لو زاد عدد سكان اليهود سيخرجون اختراعات أكثر من أمريكا،

و بين كل ٤٣٠٠ شخص ياباني يوجد اختراع،

و أن طبقت هذه النسبة على مصر، وهي التي كانت متقدمة على غيرها من الدول الإسلامية، فيصبح بين ٩٠٠ ألف مصري يوجد اختراع واحد!

فإذا كان كل خمسة آلاف صهيوني يقدمون اختراعا فإن كل ٩٠٠ ألف مصري يقدمون اختراع!

فالبون الشاسع هذا يوضح المعادلة التي نراها على أرض فلسطين.

فهذه كلها أسباب إن أخذنا بها تقدمنا وإن تخلفنا عنها حدث ما لا نرجوه، ما تعليقكم؟

د. صلاح:

الجهاد العلمي غاب عن عقول الكثير من أبنائنا الطلاب وإخواننا الأساتذة الموجودين في المعامل في هذه الكليات التي من الممكن أن تقدم براءات الاختراع، وهذا جهاد وواجب شرعًا، فالجهاد ليس بالسنان فقط بل وجهاد علمي لتحقيق قدرة علمية على الابتكار والاختراع.

الله سبحانه وتعالى استعمرنا في هذه الأرض وعمارتها تقتضي أن يقودها المسلمون كما كانوا يقودونها من قبل، فكان المسلمون هم أصحاب براءات الاختراع الأولى.

لكن أن نجلس ونلعن الصهاينة ومن يمده من الصليبيين وغيرهم، ولا نحفر في الصخر حتى نقدم براءات اختراع، أعتقد أن في ذلك إثم كبير لا يقل عن ترك الصلاة والإفطار في نهار رمضان.

فلا بد من التوازي بين الشعائر التعبدية التي يقيمها الإنسان وبين التقدم العلمي الذي يجب أن يخوضه الإنسان.

ولا شك أنه هناك مناخ عام يفتح الباب للعلماء في الكيان الصهيوني والأمريكي الذي يجعلهم يخترعون هذا الكم من الاختراعات في العام الواحد، فهناك مناخ عام يلتقط النبغاء ويهيئ ذهنهم وعقولهم.

أذكر أنه بعد إقامتي سنة في الولايات المتحدة الأمريكية جاءتنا رسالة من مؤسسة Who Is Who وقالوا أن ابنتك ستكون من أحد ٥% الذين سيقودون الحركة العلمية في أمريكا فنريد من الآن أن نبدأ ببرامج علمية خاصة بها، لكن عندما رأيت هذه البرامج وجدت بها أشياء تغضب الله عزَّ وجلَّ وتمنيت أن يوجد في بلادنا الإسلامية برنامجًا يتبنى النبغاء والموهوبين ويجعلهم أصحاب قوة في براءات الاختراع، لكن للأسف طلابنا النبغاء وعلماؤنا النبغاء هم في السجون والمعتقلات، وما لدينا هو براءات الاختراع في تزوير الانتخابات والتعذيب وفي البرامج الترفيهية المحرمة في التمثيل والكذب والاحتيال وغيره.

الكيان الصهيوني ينفق على البحث العلمي من الميزانيات أكثر مما تنفقه الدول الإسلامية المجاورة لها، وهذا ليس عن الدول الفقيرة بل حتى عن الدولة الكبيرة، لم تخصص للبحث العلمي والعلماء الميزانية الكافية.

وحتى نكون منصفين،(عندما سأل الجدار المسمار لم تشقني، قال المسمار: سل من يدقني)، فالغرب حريص على تحويل المنطقة الإسلامية إلى منطقة فراغ علمي وحريص على إبقاء أنظمة دكتاتورية لا تعترف بالعلم والعلماء ولا تطوير التعليم.

أذكر وزير التعليم الأمريكي سنة ١٩٨١ أجرى استبيان ووزعه على ١٩ دولة عن ما هي الدولة الأكثر تقدمًا من ناحية التقدم العلمي للطلاب في المدارس الثانوية والجامعات، وكانت أمريكا تحتل الترتيب ١٩.

وكرروا الاستبيان ٧ مرات، ثم قال وزير التعليم الأمريكي في هذا الوقت، وذكرت هذا موثقًا في كتابي (مشاركة المسلمين في الانتخابات الأمريكية وجوبها وضوابطها الشرعية)، قال لو أن أحدًا فرض هذه الحالة على أمريكا لاعتبرت هذه حالة حرب يجب أن تقام وتشن الحرب عليها لأنها وصلت بالتعلم إلى هذا الحد، ثم بدأ التطوير الهائل في القضايا العلمية الذي ينتج هذه الاختراعات.

لكن لدينا الأمر مختلف، فلدينا كبار مستشارين في العلوم الإنسانية وليس فقط في العلوم الحياتية أتوا إلينا من أمريكا ومن غيرها ليفرضون نظمًا متخلفًا على بلادنا.

و مع كل هذا فيمكننا التحدي.